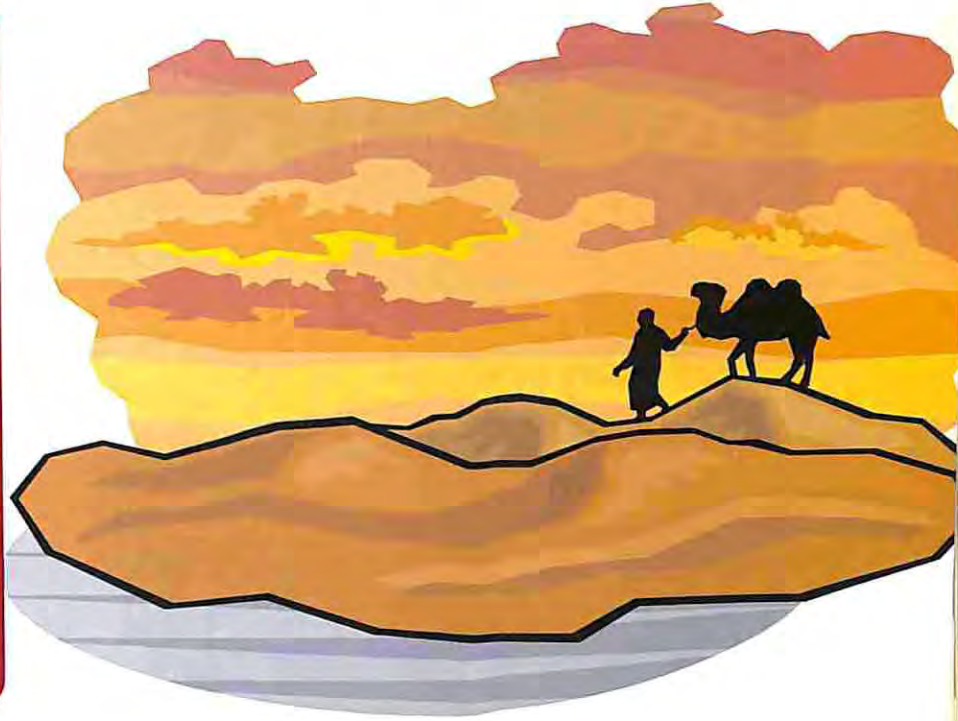




توظيف التراث توجه فني
في بناء المسرحية ، يقوم على
أساس ربط الماضي بالحاضر
بغية إضاعته للإرهاص
بالتغيير المرجو في المستقبل.
ويرغم أن الشكل
الأرسطي للمسرح هو أول
الأشكال الدرامية التي حظيت
باستثمار كل الثقافات والأمم
لها ، لكن المتغيرات قد أدخلت
عليها كثيرا من مظاهر التطور،
ومن بينها توظيف التراث.



توظيف التراث في مسرحية عودة الخنساء لغازي طليمات

الواقع المعيشية، مبشرا بالأفضل
والمرجو، كما فعل صلاح عبدالصبور
في مأساة الحلاج.
ولقد كان توظيف الأسطورة
فرعونية أو يونانية من أبرز صور
توظيف التراث في المسرح، كما
ظهر عند توفيق الحكيم وباكثير
وعلي سالم وغيرهم من كتاب
المسرح العرب في توظيف أوديب،
وهم يعالجون الواقع من خلال
الأسطورة، والمعالجة هنا تعني
الممارسة.



د . سعد أبو الرضا

وقد يوظف الكاتب شخصية
تراثية يعكس على سلوكها قضايا

من ثم فقد تتعدد صور
وأشكال توظيف التراث في الأبنية
المسرحية، ومن أمثلة ذلك أن
يستمد الكاتب هيكل عمله الفني
من التراث ليضع فيه رؤيته للواقع،
كما فعل توفيق الحكيم في «قالينا
المسرحي»، وقد يوظف الكاتب
التاريخ القديم ليسقط عليه بعض
أحداث الحاضر، فيلمح بذلك إلى
سلبيات الواقع التي يجب تغييرها،
كما فعل مصطفى محمود في
مسرحيته «الإسكندر الأكبر».



توفيق الحكيم



مصطفى محمود



صلاح عبدالصبور



غازي طليمات

من هنا تأتي
مسرحية عودة
الخنساء لغازي
طليمات لونا من
ألوان توظيف التراث
العربي الإسلامي
في المسرح.

صدر هذا

العمل في العدد

فتحات، مما يستثير الشرطية الحارسة، التي عندما تفاجأ بظهور الخنساء، تهددها بمسدسها، بل وتطلق عليها الرصاص، "فتتصيد الخنساء هذه الرصاصات، وتقدمها للشرطية التي تزدد دهشة، ولا تملك إلا أن تضع القيد في يديها وتحكم إغلاقه، لكن الخنساء تتحداها " وترده إليها مفتوحاً " فتتضاعف دهشتها، ولا تملك إلا أن تستنجد بزميلة لها حارسة في السجن، وتخبرها بأنها ستأتي لها سريعا بمتهمه كي تودعها السجن ريثما تحاكم على تهديدها للحاكم وقلعته، واستثارتها للشباب وتحريضهم ضد العولة والتطبيع، وخلال ذلك تتضح قوة إيمان الخنساء بالله، وأن الموت والحياة بإذنه تعالى وأمره، وأن الحارسة لا تملك لها شيئا من ذلك.

«الحدث:

هكذا يتصاعد الحدث الذي بدأ " بظهور الخنساء، ثم يتوسط ببحثها عن أولادها، وكل شباب المسلمين لتحثهم على العزة والإباء، وهو ما اعتبرته السلطات إزعاجا

مشجعة، مضيئة طريق العزة والإباء والنصر والحرية.

وهكذا انتقلت من الجزيرة العربية بالأمس إلى أي دولة عربية اليوم، وهذه النقلة بمقوماتها الزمانية والمكانية واللغوية والفنية بصفة عامة هي التي ساعدت الشاعر على توظيف هذه الشخصية واستدعائها للإيحاء بالأهداف السابقة التي أناطها بالمشرحية، وكشفت عن دورها في الدعوة والإرشاد.

«الشخصية الرئيسية:

من ثم يعتمد الكاتب على عنصر الإيهام أو " الفنتازيا " في تقديم الشخصية الرئيسية، فيجعل الخنساء في المشهد الأول تتكئ على عصا غليظة، وتطل من المنصة على جمهور محتشد وراء باب حديدي من قضبان متقاطعة، أمامه جنود أشداء يدفعون الجمهور والباب المغلق الذي يترعزع ولا يفتح، فهم سجناء، وقد ظهرت الخنساء من حيث لا يتوقع خروجها، فقد " اخترقت " جدار قلعة شماء لحماية الحاكم، وهذا الجدار ليس به أي

السادس والخمسين من مجلة الأدب الإسلامي^(١)، وهي فصل واحد من مشهدين، وقد اعتمد الكاتب على استثمار التراث، المتمثل في فقد الخنساء الشاعرة لأبنائها الأربعة في معركة القادسية، وعودتها في عصرنا.. عصر العولة وزعم التطبيع مع إسرائيل للبحث عنهم وعن كل أبناء المسلمين، من ثم يجعلها تحمل لواء الدعوة والإرشاد؛ فهي تدعو كل شباب المسلمين المخلصين لأمتهم، المؤمنين بالله، إلى الإباء والعزة، ورفض هيمنة العولة، كما تحثهم على تحرير فلسطين، وتطهير الأوطان من الظلم والظالمين، وترشدهم إلى طريق الوحدة لتحقيق هذه الأهداف..

«الزمان والمكان:

في هذه المسرحية يتصل الماضي بالحاضر مرهضا بالمستقبل، فإذا كانت الخنساء عرفناها في صدر الإسلام أي منذ أكثر من أربعة عشر قرنا تقريبا، فما هي بيننا اليوم عن طريق " الاستدعاء "، كما تستخدم لغتنا ومصطلحاتنا، بل وتتراسل فكريا مع شبابنا حاة



لدى المتلقي، وانتصار الخير مؤشر إسلامي يجعل مثل هذه المسرحية ممثلة بذلك للتوجه الإسلامي، كما تدعم الرؤية الإسلامية في تحقق العدل والخير، والتمسك بالأصالة ورفض التبعية.

وتعني هنا لغة المسرحية، وهي تؤكد ما أدته عناصرها الدرامية السابقة من كشف وتبيان لأهداف عليا تناهض التطبيع والعولة، كما تجلي تاريخ إسرائيل في العدوان والظلم، وسلب الأرض من أصحابها بعد طردهم منها؛ وقد تجلى ذلك خلال "حوار" الشباب المعتقلين في السجن وهم يستجيبون للخنساء، فقد مثلوا في البداية أبناءها المعتقلين، ثم الثوار المظلومين، كما جعلهم الشاعر يمثلون ما يشبه الجوقة في المسرحية اليونانية،

ويؤدون وظيفتها، عندما يكشفون قوة صمودهم وهم يجيبون على الخنساء، عندما طلبت من هيئة المحكمة تبرئتهم حتى يثأروا من إسرائيل ويظهروا الأرض من المعتدين، وأكدوا لها بصورة جماعية تمسكهم بالثار والاستشهاد ومحو العار، وعندما أخذ القضاة يتداولون بينهم الحكم همسا، يكشف الشبان بصورة جماعية أيضا أن الحكم الجائر صادر وجاهز ضدهم، لأنهم جميعا والخنساء ضد التطبيع والعولة، ثم بعد أن صدر الحكم بقتل الخنساء

ويحكم عليها بالإعدام الذي لا يمسه بسوء لعودتها إلى السماء، بالإضافة إلى سخريتها المتكررة من القضاة الذين يحاكمونها، وكشفها



لها، وفتنة وثورة هيجت الناس، بالإضافة إلى سخريتها من العولة والتطبيع، وما فيهما من خضوع وإذعان وتبعية، ودعوتها إلى تنفير الشباب من ذلك، وإرشادهم إلى طريق الحق والدفاع عن الأمة وكرامتها.

وينتهي الحدث بمحاكمتها، وتلك هي "عقدة" المسرحية التي يأتي "حلها" باختفاء الخنساء، وعودتها إلى السماء عندما تتطفى أضواء المسرح، من ثم يفرح الشباب المعتقلون الذين يحاكمون معها، لأن الخنساء لم يمسه حكم القضاة عليها بالموت بأي ضرر.

والحدث على هذا النحو حدث بسيط كما تمثله أرسطو: فعل له بداية ووسط ونهاية، ولكنه كاشف عما أنيط بالمسرحية من أهداف، ودعوة وإرشاد.

«الإحساس التراجيدي»

ويتصل ما سبق بمستوى الإحساس التراجيدي الذي يمكن أن تثيره هذه المسرحية، فالخنساء الخيرة، التي استشهد أبناؤها الأربعة في موقعة القادسية قديما، تفيض خيرية وإيمانا بالله وثقة به، كما تعتر بكل هؤلاء الشباب الذين اعتقلتهم السلطات اليوم لأنهم ضد التطبيع والعولة، لكنها برغم خيريتها يقبض عليها وتحاكم

لتبعتها، وخضوعهم للظلم، وعدم تأييدهم للحق والعدل.

وبذلك فقد انتصرت البطلة، ولم تنته المسرحية نهاية مأساوية، برغم ما يمكن أن تثيره لدى المتلقي من خوف وشفقة إزاء القبض عليها ومحاكمتها برغم خيريتها وإخلاصها لأمتها.

لكن هذه النهاية المنتصرة في الوقت نفسه، ترتبط بانتصار الخير على الشر، وهي بذلك تخالف المأساة اليونانية التي كانت تنتهي بموت البطل الخير وانتهائه حتى يحدث التطهير

- الجوار، الثار - العار.. وهكذا يتآزر الإيقاع مع الصور والتراكيب لتجسيد جزء من الحدث، وهو ما يتعلق بفعل إسرائيل التي يدافع عنها القضاة.

«الصراع»

لكن الشباب والخنساء يرفضون ذلك، من ثم يتجلى " صراع " على مستوى الأفكار لا الأفعال التي يجليها التاريخ، كما تتجلى الرؤية الإسلامية في وجوب الحفاظ على الهوية الإسلامية والأصالة العربية دون ذوبان في العولمة أو خضوع لهيمنتها، كما يتأكد ما سبق بالتمسك بفلسطين والدفاع عنها.

وهكذا تتسع مسؤوليات الأدب الإسلامي لتشمل كل اهتمامات المسلمين وأشواقهم وآمالهم وآلامهم في الحاضر، كما يبشر بمستقبل زاهر، في ظل التمسك بالإسلام ومبادئه، وكل ما يتصل بقضايا الإنسان في الكون والحياة، شاملا لما هو حسي وما هو غيبي، وما يتعلق بالدنيا، وما يتصل بالآخرة. في بيئة هذا المسلم ومجتمعه، بل وما يتصل بعلاقاته على مستوى العالم، في واقعه وما يترأى له من صور وخيال ■

الهوامش

(١) رمضان - ذو القعدة سنة ١٤٣٨ هـ / تشرين الأول (أكتوبر) كانون الأول (ديسمبر) سنة ٢٠١٧ م ص ٧٦ : ٨١.

(٢) السابق، ص ٨١.

- تلك التي تقتات من لحم البشر

- ولا تحس الأمن إلا حين تشر الخطر

- قد حدث التاريخ عن تاريخها المقرون بالأرزاء

- حدث عن فطيرها المعجون بالدماء

- عن شعرها المخضوب بالنجيع لا الحناء

- ليس لجارة تروم الجور من جوار

- فبرثوا بني كي يأخذوا بالثار

- ويفسلوا أوضار هذا العار^(٢).

وبرغم أن اسم إسرائيل لم يرد في هذا المقطع بالإضافة إلى عدم وروده في المسرحية كلها، لكن إحياء المسرحية به واضح تماما عن طريق لفظة "التطبيع" ومصاحباتها اللغوية، وما يقترن بذلك من صفات لإسرائيل في الماضي أو الحاضر؛ بالإضافة إلى أفعالها وانتهاكاتها وعدوانها، من ثم فالرمز هنا شفيف، كما تتآزر عدة صور معه لتجسيد فظاعة عدوانها وقتلها للفلسطينيين (تقتات من لحم البشر - فطيرها المعجون بالدماء - شعرها المخضوب بالنجيع - تروم الجور...).

أما عن الإيقاع الذي يرتبط بما سبق، للتأثير بالفكرة في المتلقي فهو غني في هذه الفقرة، بالإضافة إلى التفعيلات نجد توافق نهايات بعض الأسطر الشعرية، والكلمات المتوازنة : الأمن، الخطر - النجيع، الحناء - هذا بالإضافة إلى ما بينها من تقابل وتطابق، كما نجد الجناس : الجور

وسجنهم، يخاطبون الخنساء مبينين لها أنهم على عهدهم معها باقون، متمسكون بالإباء والنخوة والرغبة في الشهادة، رافضون للتهجين والتدجين والعولمة والتطبيع، من ثم كان تكرار النداء في مفتتح ردودهم:

" يا أمنا الخنساء يا سيدة النساء "

بإيقاعه وشعريته حاملا دفقة عاطفية إنسانية أركت الفعل الدرامي، وضاعفت من تأثيره في المتلقي بالرؤية الإسلامية التي تحملها المسرحية.

إن المسرحية الشعرية بصفة عامة غنية بوسائلها الدرامية الشعرية، فإذا ما وظفت في مجال التاريخ، وهي بذلك من أنسب الأشكال لاستدعائه وتوظيف شخصياته التراثية، أكسبت الموقف الدرامي جلالة وروعة، ويتجلى ذلك في الصياغة وما يتمكن الشاعر من تشكيله في مجال الدراما من وسائل على المستويات التركيبية والتصويرية والإيقاعية.

فعندما سألت الخنساء القضاة عن سبب سجن هؤلاء الشباب كان من بين ما اتهموهم به إساءتهم "إلى جارة وادعة تدعو إلى السلام" يقصدون إسرائيل طبعاً، وأخذوا يدافعون عنها، بل يلتمسون الأعذار لها في حصدها آلاف الأرواح في دير ياسين، وقانا وبحر البقر، وهي دائماً شاكية السلاح..

فتقول الخنساء :

- حسبك قد عرفتها